حوار الأديـــان والثقافـــات أشكالية الجدوى

الأستاذ الدكتور
عبد الأمير كاظم زاهد*

مقدمة

تقول الدراسات السكانية و دراسات التوزيع البشري ضمن نطاق الاديان و الثقافات ان في عالمنا المعاصر ثلاثة وثلاثون الف دين ومعتقد ,منها ١٢٥ دين يتعامل الناس معها العالم على انها اديان اذ يبلغ معتنقو كل منها قرابة المليون في الحد الادنى من بينها ثلاثة وعشرون ديناً رئيسياً.

و تؤكد تلك الدراسات ان ٦٠٪ من سكان الارض البالغين سبعة مليارات من البشر تقريباً يتوزعون بين الاسلام و المسيحية فيقدر عدد المسيحين (٢,٢) مليار[١] و تعتبر الولايات المتحدة في مقدمة الدول الكبرى التي لم تهمل تأثير الدين في عملية صنع القرار السياسي و تزعم حرصها على الحوار بين الاديان ونشر ثقافة التسامح لذلك انشأت لجنة الحريات الدينية الدولية (IRAF) (useirf) على اساس قانون الحرية الدينية ١٩٩٨ والذي يصدر تقريراً دولياً كل عام في الاول من ايلول, بخصوص تجاوزات الدول على الحريات الدينية و قد اشار التقرير في نسخة منه التقرير ان المسلمين في اوروبا الغربية غالبيتهم من المهاجرين اما مسلمي اوروبا الشرقية (ألبانيا و كوسوفو) فهم من السكان الاصليين بحيث يذكر ان اكثر من نصف مسلمي اوروبا من السكان الاصليين[٢].

تقول الاحصائيات انه يبلغ الكاثوليك منهم فقط حسب احصائية الفتيكان ١,١٦٦ مليار و عدد المسلمين ١,٧ مليار نسمة بحيث يشكلون ٢٥٪ من السكان ويبلغ عدد اليهود في العالم (١٤مليون)[٣] .

لقد كانت هذه الاقوام و عقائدها تعيش في مناطق جغرافية منفصلة عن

*مدير مركز دراسات الكوفة

بعضـها , الا ان الاتصـالات و عـالم التواصـل و الانترنـت جعـل منهـا في مقابـل الآخـر الـديني فلقـد تكسـرت العزلـة الجغرافيـة و صـارت الهويـات الحضارية المؤسسة على اسس دينية تتعامــل علــى اســاس جديــد هــو مواجهــة الانفتــاح ازاء هــذا التطــور الــتقني الــذي جعـــل البيانـــات و التصورات كلها متاحة للجميـع فهـل هذا الامر بصالح تقـارب بـني البشـر ام بصـــالح الاحـــتراب و الصـــراع و النزاعات المدمرة التي تستخدم الدين دافعاً للناس للمشاركة بالحروب [٤].

اذ طالمـا : عمـد اشـرار البشـرية الى اشعال الحروب و الفتن و الصدامات باسم الـدين في عالمنـا و كـان الحـدث المعاصـــر والمهـــم مـــا جـــرى في ١١/ايلـول/٢٠٠١ و ازاء مـا حصـل أنشغل العالم منذ أحداث ١١/ أيلول /٢٠٠١ بنشـوء وتطـور الاصـوليات و العنـف باتجـاهين يسـهمان في خضـم الجـدل السـاخن في قضـية الأديـان ودورها في خدمة الانسان :

الا اه الأول : وهـو اتجـاه المتشـددين سـواء كـانوا في الغـرب او في العـالم الإســلامي, إمــا الــذين في الغــرب فيمثلـون باليمين الإنجيلي الأمريكـي (بــوش الأب) , وصــقور الحــزب الجمهـــوري , ومعهـــم المتعصـــبون المسيحيون وورائهـم القـوى المتـأثرة بالصهيونية الـذين يروجـون لـدعوى إن الإسلام عبارة عن نظرية عمـل في العنـف وتـدمير الحضـارة واسـتعانوا بأمثلـة مـن التـاريخ منهـا السياسـات التاريخية للعثمانيين تجاه الأرمن مثلاً وهجومـات المتطـرفين مـن القاعـدة على مانهـاتن وازاء ظـاهرة الاسـلام السياســـي في الشـــرق الاوســـط واوروبـا وظهـور اصـوليات اسـلامية سياسـية انـدفعت الكنيسـة الى عـالم السياســة بشــكل واضــح في فــترة البيروستريكا وتهاوي اوروبا الشرقية فكانت حاضرة في بولونيا مـن خـلال نقابـة التضـامن ومـع وهـدم جـدار برلين فقدمت فلسفتها الاجتماعيـة في الديموقراطية المسيحية ودعمت مادياً ومعنويـــاً(الاحـــزاب المســـيحية

الديموقراطية)[٤] و اعطت مسحة من القداسة للسياسة, الا ان الواقع لم يكن متطابقاً مع استشرافات الكنيسة اذ ان الديموقراطية تتاسس على حرية الضمير و مبدأ الاغلبية و الكنيسة تتأسس على الحقيقة و العصبة [٥] وهذا بالضبط ما نصت عليه نصوص الانجيل [٦].

ومنذ قيام الدولة العثمانية في اوربا ايدت الكنيسة علمانية الغرب واعتبرت نفسها صاحبة الاطروحة فهي التي ثبتت المبدأ في انا جيلها (اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) [٧], لكن العلمانية حاليا تحاصر نفوذ الكنيسة و تظهر مقولة الدين المدني في امريكا كاطروحة لما بعد الحداثة في الفكر السياسي الامريكي وكاجابة على سؤال الى اين تسير الكاثوليكية اليوم يقول برولاي: يوجد تياران في الاجابة على هذا السؤال:

يؤكد التيار الاول ان المسيحية رسالة سلام و تقدم وقد تبنت مقررات المسكونية فكانت رسالة نبيلة.

وتيار متأثر باليهودية يرنو الى اورشليم و يعدها اولوية المؤمن [٨] ويتدخل في الشأن العام ويمارس ضغوط على الآخر الديني.

وربما يبدو التقسيم السالف من حقائق العالم المعاصر ,الا ان المتطلع له انسانيا ان تصبح الكنيسة اكثر مسيحية و اكثر ارتباطا بالانسان.

لقد صدرعن اليمين الانجيلي كتاب من نحن ﴿ صدام الحضارات﴾[٩] وكتاب ﴿الإنسان الأخير﴾[١٠] وكتاب ﴿تصدع الهوية﴾ وعشرات الأطروحات و الدراسات التي تركز على نظريتين الأولى تلك التي تزعم تكامل النظرية الغربية معرفياً ومنهجياً وقيمياً مما يترتب عليه حمل شعوب العالم على اعتناقها و اعتبار ثقافات و اديان تلك الشعوب ثقافات متخلفة لاتستطيع ان تتعايش مع موجبات الحداثة.

الثانية تلك التي تحاول البرهنة على تخلف الرؤية الإسلامية بالذات وتصادمها مع الحداثة ولكثرة التبشير

عنها واصبحت فلسفات تبرر غزو أفغانستان والعراق , والسكوت عن تـدمير الشيشـان الصـومال ولبنـان وضـرب غـزة وعشـرات الحمـلات الحربية الأوربية معارك الناتو على العـالم الاسـلامي ممـا يخلـق شـعوراً عامــاًبعودة الحــروب الصــليبية في اواخر القرن العشرين واوئل القرن الحادي و العشرين.

أما في الطرف الإسلامي فقد كان رد الفعـل علـى هـذه الاسـتراتيجيات احتشـاد الملتـزمين الإسـلاميين وراء تنظيمـــات متشـــددة كالقاعـــدة , وتفرعاتهـا الجهاديـة علـى ان الظـن مؤكـد ان اغلــب المنـتمين للفكــر الإســـلامي الســـني لم يتفقـــوا في اصـولهم تمامـا مـع أصـول تنظـيم القاعدة .

لكـــن : لان موضـــوع النـــزاع التاريخي الاسلامي الاوروبي تحول مـن موضـوع كـان يفـترض ان (يناقش معرفياً و سياسياً) إلى موضوع للتصادم المتبادل,ويقدم النزاع للناس بوصـفه قلقـاً فلسـفياً علـى الهويـة و الاعتقـــاد ثـــم اســـتخدام النزعـــة الصراعية كوسيلة من وسائل حماية الهوية , و الدفاع عن الدين و المعتقد و التضـحية بالتقـدم الاسـلامي مـن اجـل كلمـة الله لـدى كـلا الطـرفين فالتصرفات الكاثوليكية ازاء المسلمين في فرنسـا تـتم تحـت هـذا الهـاجس و نزعــة الانتقــام الــتي يعــاني منهــا المسيحيون في بلدان العالم الاسلامي تتم تحت هذا المسوغ كـل تلـك تجعـل من الحوار فعاليات في خارج التطلـع الــراهن, أي حــوار النخــب الــذي لايلامس او يسهم في حل مشكلات اليوم.

ان هذا التحول من العلاقة الفكرية الى المنازلــة المســلحة و ان ســوغ في الاتجاهات الاصولية السـنية المتشـددة فأن وسائل غير سلمية قليلة الانـدفاع شاعت ايضا في الاوساط الراديكالية الإســلامية الشــيعية كمــا في بعــض الفعاليـات السياسـية في إيـران, لقـد اصبحت تجربـة ايـران الشـيعية نقطـة توتر مستمر مع أمريكـا والغـرب ,ولا



تزال تعلن ايران الدولة استعداداتها للمواجهة مع الغرب و أمريكا وان بصيغة الدفاع عن الذات و الوجود و المعتقد وحقها في امتلاك وسائل التقدم والردع و مما يجدر ذكره ادعاء الغرب ان ايران تغذي تنظيمات مسلحة ضد أمريكا وإسرائيل و الأنظمة الموالية للغرب في المنطقة ,وتحاول ألان خلق كتلة دولية ضد أمريكا و الحضارة الغربية, على ان المشهد الايراني ليس كله على هذا المنوال لأن هناك قوى اصلاحية ترفع شعار حوار الحضارات فهؤلاء يطالبون بالتخفيف من خطاب الصراع و الصدام مع الغرب , وقد قدموا تنظيرات بشأن إصلاح العلاقة مع الغرب على أسس التعاون المشترك بين المسلمين و الغرب بل مع حضارات العالم وثقافاته,من دون تمييز على اساس العقيدة وتبنوا فكره حوار الحضارات(11).

الا ـــاه الثـا :هـو الاتجـاه الـذي يسعى للحوار بين الأديان و الحضارات ففي الغرب دعا الكثير إلى الحوار بين الاديان لدوافع واقعية منها إيقاف موجة الإرهاب المنتشر في كل العالم وتنامي الاصوليات في الغرب واسرائيل وفي العالم الاسلامي المتجه نحو أوربا والغرب بالدمار وكانت تلك الدعوى قد بدأت عام ١٩٦٥ بقرار المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٥) يقول الاستاذ رضوان السيد ان المبادرة ظهرت في الخمسينيات من الكنائس البروتستانتية ثم تلاها المجمع الفاتيكاني و انعقدت على اثرها مواسم ثقافية في الجامعات و مراكز الابحاث , وكانت الحرب الاهلية اللبنانية ١٩٧٥-١٩٩٠جزءاً من محركات هذا الحوار فقامت مجموعة من المؤسسات لرعاية مثل هذه الفعاليات (١٢) ولعل قرار المجمع الفتيكاني الذي وسع مفهوم الخلاص المسيحي ليشمل كل الإنسانية ,و اسقاط التبعة عن اليهود وبرأهم من دم المسيح ,اجاز التعاون بين الارثوذكسي البروتستانتي مع المسيحية الام الكاثوليك (١٣).

و في العـالم الإسـلامي هنـاك قـوى تنويريـة دعـت الى الحـوار في مطلـع مشـروع النهضـة في القـرن العشـرين وتنامتبعـد انتهـاء الموجـة القوميـة , واليسار الستيني ففي مرحلة ما بعد السبعينيات في العالم العربي ظهرت دعوات للحوار و التفاهم و العيش المشترك مع الغرب, و يجدر التنويه انه هـذا الأمـر كـان قـد ظهـر في مفتـتح القـرن العشـرين علـى يـد (جمـال الـدين الأفغـاني) و لكـن لم يواصـل الدعوة له تلميذه محمد عبده أو محمد رشـيد رضـا , ولم يلتـزم بـه الخـط السياســي الإســلامي (الإخــوان المسـلمون) الـذي تبنـى مبـدأ معـاداة الغـرب فكريـاً وفلسـفياً و حضـارياً فادخـل معــاداة اديـان الغـرب في كراهية الغرب اجمالاً بعد جولته و منازلته مع اليسار الدولى ولا يـزال الإسلاميون في أدبياتهم يحذرون مـن القلـق علـى الهويـة الاسـلامية مـن الوافـد (الفكـري والفلسـفة الغربيـة) والمنــاهج الاوربيــة في فهــم الــنص الـديني , ويكـاد يكـون ذلـك معتقـد اجماع الحركات الاسلامية السياسية.

ان حاجة العالم الإسلامي إلى درجة مـن التفـاهم و الحـوار مـع الغـرب و ظهور التجربة (الليبراليـة) الإسـلامية التركيـة , و تجربـة ماليزيـا الحضـارية والدور الايجابي للأقليات الإسـلامية في الغـــرب , و الـــدور الايجـــابي للجامعـات في أوربـا وفي في العـالم الإســلامي ان كــل تلــك الجهــات اوجدت مناخاً لتقبل موضـوع حـوار الأديــان كفكــرة أو مشــروع قابــل للتـداول , ورغـم ذلـك ظـل هـذا مشروع حوار الاديان تكتنفه الضبابية وعدم الوضوح ربما حتى عند المعنيين بــه و المتصــدين لــه وقــد تباينــت المفهوبات و الاطلاقات التي يفرزهـا هذا المصطلح وسأتطرق بإيجاز لعـدة أطلاقــات ورؤى تداوليــة المفهــوم(حوار الأديان) وعلى الوجه الآتي :

- هل يجري لاثبات تفوق دين على دين آخر
- هـل هـو بحـث في مـزج الـدينين وتشكيل حضارة دينية واحدة

- هـــل نريـــد توظيـــف الـــدين للاستفادة من العلوم و الاداب والفنـون لتطـوير وعـي الانسـان وذوقه
- هل مناط البحث استثمار الدين لانقاذ البشرية من هاوية الصراع النووي
- هل يراد تأسيس قرية عالمية ذات دين واحد
- هـل نسـعى لاكتشـاف مشـروع للسلام و الامن العالمي
- هل نريد اكتشاف نموذج لنظام عالمي جديد (World Order)

و على المستوى الاسلامي يتساءلون

- هل نحن اليوم صناع حضارة ام ممن يتلقونها
- هل نريد اعطاء شيءواخذ شيء
- هل نريد صياغة قيم نبيلة مشتركة ونلتزم بها
- هل لدينا قدرة و ضمانة تنفيذية

و اخيراً يتساءلون:

هل شروط الحوار متوافرة

- الحاجة المشتركة
- اللغة المشمشتركة
- القدرة الكافية
- احتمال الوصول الى نتائج
- تحديد موضوع الحوار

من خلال ما تقدم ظهرت عدة رؤى:

الرؤية الأو : أولاً يتساءل المفكرون الاسلاميون عن المقصود من الحوار

أن الحـــوار بـــين الاديـــان لا يستهدف ليس أكثر من صيغة لتعـــايش الشـــعوب متعـــددة المعتقدات تعايشاً سلمياً – ولا شان لهذا التعايش بالعقيدة إنما يستهدف الحوار اعتراف واقعي بوجود القوى المؤثرة في الواقع وإيجاد صيغة تعايشيه فيما بينها .

الرؤيـــة الثانيـــة : إن الحـوار بـين الأديان وسيلة لاكتشاف حقائق ((المشتركات العقائدية)) بين الأديان الثلاثة فلا يمكن بناء صيغة للتعايش لا تستند على بنيـة تحتيـة للفكـر والعقيدة وقاعدة فلسفية أو عقائدية

تضـم المشـتركات مـن هـذه الأديـان لتكون هي الجامع لهذه الشعوب [١٤].

الرؤيـــة الثالثـــة: إن الحـوار بـين الأديـان وسـيلة للتقـارب العقائـدي والقيمـي والتشـريعي بـين الأديـان الكبرى فلا بد من ايجاد صيغة تضم عقائد وقيم ونظم مشتركة .

الرؤيـــة الرابعـــة : إن الحـوار بـين الأديان هو طريق للوصول إلى دين واحد تؤمن به كل الشعوب فالهدف (توحيـد الأديـان الكـبرى بـدين واحد) هو دين الانسانية[١٥].

وكنتيجة للدراسات فأن الخيارات الثلاثـة الأخـيرة تكتنفهـا صـعوبات كـبيرة ولعـل أفضـل رؤيـة تداوليـة لحوار الأديان هي الرؤية الأولى التي تعبر عن رؤية للوصول الى تعايش الشعوب الموجودة على أساس قبول الآخـر فقـط, و تسـتبعد تمامـاً ـ المنـاظرات العقائدية , وتركـز علـى الوجود الفعلي (للأمم أو الدول) والكيانات التي تنطوي على ثقافات أصلها ديني بحيث تشكل لها هوياتها الحضارية, لذلك فأن الهدف هو ان القوى الناتجة عنها بدل إن تدخل في صـراع تـدميري فـان حـوار الأديـان يسهم في اكتشاف صيغة للسلام بين هـذه القـوى, ويخفـف مـن التنـافس الشديد بينها على الثروات والأسواق والنفوذ حقيقة ويقلل من هواجس الخـوف مـن الآخـر والترقـب مـن تـداعيات الاختلافـات العقائديـة كسبب معلن.

إن ما يعزز هذا الخيار انه من جهة الغـرب قـد اصـبح ضـرورة مـن ضرورات الرأي العام وتراه مطلوباً لأن الغرب يخاف من تنامي الموجه القتاليـة الـتي بـرزت لـيس فقـط في تنظيمات القاعدة فقط اذ ربما هذا الخيار الى عدد من الخلايا النائمة في الفكـر الأصـولي الإسـلامي ويعتقـد الأوربيـون إن هـذه (الفوبيـا) مـن الإسـلام ألتـدميري يمكـن الخـلاص منهـا بحـوار الحضـارات والأديـان والثقافات الذي يوجد مناخاً سلمياً بين الشعوب و الامم والثقافات[١٦].

ومن الطرف الإسلامي فلأن شعوب العلـم الاسـلامي ضـعيفة عسـكرياً

واقتصــادياً ولا قبــل لهــا بمواجهــة القــدرات الغربيــة لــذلك عليهــا إن نستبدل علاقات المواجهة بعلاقات الحوار أي تقدير حكيم أثر موازين القوى على مسارات التعاطي فيما بين الكيانات والتفاهم وعليها إن نستخدم التقية في المجال الدولي لذلك يتجه أصحاب هذا الخيار إلى اعتماد استراتيجيات حوار التعايش بوصفها وسائل للتعايش ,رغم اختلاف المعتقدات وليس حوار العقائد لاقناع الاخر بعقيدة ما, لأن في ذلك خطورة كبيرة وأن هدف هذا الاتجاه هو تحسين مستوى العلاقات بين القوى والسعى المشترك نحو الإنماء الإنساني – بلا تمييز بين الشعوب على أساس الدين أو المعتقد .

أن شروط نجاح هذا الاتجاه : الا يتم التطرق إلى القضايا العقائدية في خضم حوار الأديان ويتطلع الى وجود قاسم مشترك بين كل الأديان لأنه ليس بصدد المناظرة العقائدية ولا يجعل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان شرعة يتحاكم إليها المتحاورة في ﴿ تداوليات حوار الأديان ﴾ .

وما يقدمه هذا الاتجاه :

أنه يجيز قراءة أفكار الآخر وفلسفاته استثناء مما كان يعد من المنوعات وينظرون الى التعدد بوصفه تنوعاً ثقافياً وليس تضاداً و ان لم يعترف به ويعامله على انه التنوع الثقافي انما بوصفه واقع فقط دون إن يمنحه الشرعية العقائدية ويصر اصحابه إن يكون الحوار حصراً في الأمور الدنيوية دون العقائدية.

لقد عرف اليونسكو الحوار بأربعة مقومات:

١- احترام الآخر وحرياته وعقائده وطقوسه .

٢- الاعتراف بأن الاختلافات كلها مشروعه .

٣- ان التعدد عبارة عن التنوع الثقافي القائم حقيقة ولا يجوز تصادر وهي مصدر قوة .

٤- قراءة أفكار الآخر وفلسفاته عمل مشروع مطلوب ومشجع عليه [١٧] .

اما الاتجاه الثاني : فهو يسعى إلى تأسيس الحوار على المشتركات العقائدية ويرتكز هذا الاتجاه على أن أصل الدين واحد أي إن الأديان كلها ذو جوهر واحد مهما اختلفت الصيغ والإشكال, وعلينا إلا نهدر الوقت في البحث عن الاختلاف في الشرعة والمنهاج, لذلك من السهل الوصول إلى عقائد مشتركة على الأقل في مجال الفضائل والقيم الأساسية والمعتقدات الكبرى ليقوم عليها والتعايش ويركز هذا الاتجاه على :

١- أيمان الأديان كلها بالربوبية
٢- أيمان الأديان كلها بالنبوات والوحي وإتباع النبوات .
٣- أيمان الأديان كلها بالمعاد والمسؤولية واليوم الآخر .
٤- وجود قيم وفضائل نبيلة تشترك فيها الاديان الكبرى.

ويدافع هذا الاتجاه عن أطروحته بان السلام و التعايش لايمكن ان يقوم على الاختلاف انما ويقوم على الالتقاء على المشتركات ويؤيد بان الإسلام يحتوي على كل المشتركات الدينية التي يركز عليها التنويريون الاسلاميون للتفاهم والتحاور والتعايش على أساس المشترك العقائدي .

و في الجانب المسيحي : فهناك جمع من الكنائس والمجمعات الدينية التي امنت بتوسيع مفهوم الخلاص ليشمل كل الإنسانية وهذا القرار الفاتيكاني من اكثر القرارات انسجاماً مع معطيات الحوار (١٨).

و الذي يؤسس لخطوة اخرى هي (التعاون) مع اهل الاديان و جواز دراسة الآيات القرآنية التي تذكر المسيح ومريم والرهبان الذي تفيض أعينهم من الدمع , والاتفاق على بعض الأصول العقائدية والقيم الأخلاقية

أن هذا الاتجاه : يرى إن التفاهم بلا مشتركات عقائدية ليس حواراً للأديان , أنما هو حوار للقوى والدول والأمم والشعوب – أو هو

في أحسن الأحوال حوار للثقافات يبدأ من منطلقات منفعية غير دينية وينتهي الى نهايات براجماتية , لانه حينها لا يكون الاتفاق على أصول مشتركة أو قيم دينية مشتركة يؤسس عليها التعايش السلمي فلا يعد ذلك حواراً للأديان .

الاتجاه الثالث : ويعتقد أصحابه إن الحوار لا يكتفي بالمشتركات العقائدية فلابد من إن تضم لها المشتركات القيميه والأخلاقية واللوائح القانونية المشتركة ويعلن عن أن الحوار ليس وسيلة للاقتراب العقائدي فقط أنما اقتراب قيمي أخلاقي فأن العلم اليوم يشهد ازمة اخلاقية بالدرجة الاساس ثم اقتراب نظمي منه الإقرار بحرية الأديان والتدين ,و لكن هذا الإقرار يتعارض مع التمسك بفقه الردة وعقوبة المرتد عند المسلمين وربما نجد مثلها عند اليهود والمسيحيين و يتطلب الاتجاه الثالث إنهاء فكرة الذميين والجزية والتمييز ضد الكتابيين في المدونات الإسلامية ويريدون إنهاء إعلان المسلمين لكفر اليهود والنصارى وفي الاستجابة لمطلب التنازل عن كفر اليهود و المسيحيين هناك أنموذجان.

١- أنموذج الشيخ يوسف القرضاوي الذي يكفرهم لكنه لايمنع من القول بجواز التقارب معهم, ولذلك يعتبره المتشددون (مبتدعاً), رغم مشاطرة لجنة حوار الأديان بالأزهر معه, حلت في (٢٠١٠).

٢- أنموذج محمد عماره الذي لم يعتبرهم كفار لانه فسر الكفر بالجحود بالالوهية و الحال إنهم موحدين , والكفر حصراً بعبدة غير الله من عباد الشمس والحيوانات والأصنام وقد كفر المتشددون اصحاب هذا الاتجاه لأنهم لم يكفروا أهل الكتاب إن الاتجاه الثالث يحاول اكتشاف المناطق المشتركة بين الأديان الثلاثة في عموم الميدان الديني (العقائد / القيم / النظم والتشريع) وهذه المحاولة رغم أنها تهدف (كما يروج لها) إلى توسيع دائرة المشترك إلا أنها تنطوي على مخاطر ظهور

اختلافـات كـبيرة يمكـن إن تهـدر المشروع برمته .

ويرى الباحث : أن الخيار الأول هو الخيار الأكثر أمكانية, رغم إن الفكر الإسلامي لايضيق ذرعاً بالخيارات الثلاثة ولكنه لا يتسع للرابع . . لما فيه الكثير من الموانع ويرى إن الخيار الأول أكثر راجحية في التحقيق العملي لأن المسلمين يعتقدون .

١- إن اختلاف عقائد الناس سنة كونية أكد عليها القرآن الكريم فقد قال الله في محكم كتابه المجيد (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين)[١٩].

ولأننا مأمورون بالتعامل الحسن مع إتباع الأديان الثلاثة لقوله تبارك وتعالى ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن)) [٢٠]

ولقوله تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم إن تبروهم وتقسطوا إليهم)) [٢١]

وقوله تعالى : ((تعالوا إلى كلمة سواء))[٢٢] وقد فسره المفسرون الكلمة السواء بأنها الإعمال الصالحات للبشرية جمعاء [٢٣].

ولأن فلسفة الاستخلاف الإسلامي فلسفة تشمل الانسانية مهما كان الدين ولأن القرآن ألزمنا بمبدأ (تكريم الإنسان)[٢٤] ومن التكريم احترام خياره الديني, ولأننا نعتقد إن الإسلام قد احتوى الأصول الدينية كلها فأياً كان الموحد فهو يحمل جزءاً من الإسلام المهيمن لقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذين اوحينا اليك و ما وصينا به ابراهيم وموسى و عيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه).

لذلك : لا يجد الباحث إن مبررات المتنعين عن الحوار مع أهل الأديان مبررات كافية لتأسيس موقف رافض للحوار مطلقاً

ويرى الباحث إن الحوار : ربما يؤدي إلى أغناء التجربة الدينية والحضارية التي ترتقي بالإنسان إلى الأفضل والأكمل, وربما تشكل هذه التجربة أرضية لاستثمار الأديان للتخفيف من الشرور والجرائم وعمليات

إزهاق الأرواح ومصادرة حقوقهم وتجويعهم ونهب ثرواتهم واستخدام القوة لسلب الحقوق ونعتقد أيضاً إن حضارة الغرب الصناعية والتسليحية بحاجة إلى تجربة دينية تقلل من جفاف النزعة المادية لها وتزرع في وعي التفكير الغربي نزعه إنسانية.

ويؤكد الباحث إن القرآن الكريم الذي نهى في آيات كثيرة عن العدوان والاعتداء لا يمكن إن يكون مشروعاً للقتل والاضرار والابادة تحت مدعيات دينية.

و إن الإنجيل الذي يدعو إلى التسامح والمحبة لا يمكن ان يدفع معتنقيه إلى إشعال الحروب المدمرة ضد الشعوب الفقيرة لذلك فان عمليات الاضرار بالانسان واستخدام العنف لايمكن ان يكون تطبيقاً لنص تاريخي.

ونرى : أن المدنية الأوربية المعاصرة كلما تطورت احتاجت إلى قيم دينية لتلطيف عنفوانها وتقليل هيمنتها على العالم الفقير والمتخلف .

لكننا نقف موقف (المتحفظ) ضد من يدعو الى جواز تقديم تنازلات عقائدية للآخر, تحت مبرر إنجاح حوار الأديان و نتحفظ على الاطلاق غير المحدد لمقولة ان الأديان جوهر واحد – مهما اختلفت الصيغ و الإشكال فتلك كلمة حق,لكن التدرج في ازمان الاديان مرتبط بالتطور النوعي لحكمة الانسان وعقله , بتقدير الباري تعالى ذلك لأننا نؤمن أن التدرج الديني تابع- لتطور الممارسة الاستخلافية للإنسان على الأرض و الأديان بتتابعها فأنها تنطوي على حكمة التدرج كما نؤمن بان الأديان قد صرحت بنظرية النسخ .

لذلك:لا نرى إذا ما دخلنا في الحوار من بوابة عقائدية –ان الحوار سينتهي إلى نتائج طيبة ,بل ستكون هناك تقاطعات كثيرة و علينا ان: نلتزم بان الحوار لا يهدف إلى إقناع الآخر بدين الطرف الثاني,بل علينا أن نكتفي بتحقيق غاية قبول الأخر لدى إتباع الديانات السماوية .

وأيضا: ربما سيقلل الحوار بين علماء الأديان من ذلك الموروث العدائي السلبي المتراكم في الذاكرة الأممية, و ما هو تاريخي من صنع الإنسان و اجتهاده و ليس صنع الله مثل الحروب الصليبية التي شنها حملة الصليب على المسلمين و حروب العثمانيين على الأرمن .

ربما: نقبل القول: ان جوهر الرسالات السماوية وهدفها هو الإنسان الذي خلق للعبادة ,ولولا الانسان لم يكن الكون بحاجة إلى هذه الأديان الكثيرة والأنبياء الذين يزيدون على عشرات الآلاف ,ونلفت النظر هنا إننا لا نقلل من أثار الكثير من مدارس الاستشراق الذي أعمل منهجه العدائي و الأيديولوجي في التراث الإسلامي مما حفر في ذاكرة الوعي عند الإنسان المسلم – رؤية عدائية للاستشراق مملؤة بالخوف والتوجس من كل نتاج غربي في مجال الإنسانيات ,ولا نقلل :من إشكالية تجذر الخلاف منذ قرون ,وعقم المحاولات السابقة للحوار مثل مؤتمر مدريد,و مؤتمر قطر , وعشرات اللقاءات التي جرت بين علماء الأديان ,كما لا نقلل:من تأثير الحروب الغربية حالياًعلى بلدان العالم الإسلامي التي لا تزال مستمرة إلى الآن و التي تعتبر مانعاً.

إننا نلفت النظر الى ان (النادي المسيحي الأوروبي) لم يقبل تركيا عضواً فيه لا لشيء إلا لأن ثقافة الأتراك التاريخية ليست ثقافة مسيحية مع ادعاء وان ثقافة الشعب التركي لا تتوافق مع ثقافة شعوب الاتحاد الأوروبي, ونرى ان تلك الصعوبات كلها:يمكن التعامل معها, متى كانت النوايا صادقة و القلوب طاهرة و الحرص على مصير الإنسانية المعاصرة حرصاً حقيقياً .

موقف الشيخ مد مهدي
س الدين من حوار الاديان

يعتقد الشيخ شمس الدين ان القيم النبيلة قوة فعالة لحياة انسانية ممتازة , وان الحضارات الانسانية الكبرى لا تنمو الا في ظل القيم التي تخفف من قسوة المدنيات المادية.

و يشخص الشيخ ازمة الحضارة و الاشكال التاريخي للحوار مشيراً الى ان حضارة الغرب المادية (الحادية او ذات ايمان شكلي) هذه المدنية وفرت اللذة دون السعادة ليست مرتكزاً على الضمير او الشعور بدور ايجابي وان سلام هذه الحضارة : للانسان انما قائم على توازن قوى الرعب.

في غمـــرة: ادراك ان المشـــروع الحضاري الغربي (غير الايماني, و التهديدات الموجهة لحياة الانسان الغربي لمتطلباتهم ولدت الحاجة الى الحوار بين (الاسلام والمسيحية)

ويرى الشيخ ان الاسلام والمسيحية : كلاهما دعوة للخلاص في الدنيا من الشـــرور وكلاهمـــا يـــزدوج في رؤيتهمـــــــــا(عـــــــــالم الغيب/الشهادة)ووسائلهما المختلفة و كل منهما يصر على انه الوسيلة الوحيدة للخلاص.

ان علمنا اليوم يقدم كل دين منهما: عبارة تحدي للآخر---- لابد من الحوار.

اشكال الحوار:ان اهم مقدمة للحوار ان تتخلى عن الصدام المسلح

لان الدينين سلما للسياسة مقاليد الشان العام سواء اللاهوت او علم الكلام و اذا كان الحوار في مجال العقائد (حوار العقائد:عقيم)

ولم يبق الا حوار التعايش

اوربا : بعد التخلص من سلطة الكنيســة اختــارت اســتراتيجيات التسامح الديني

و علينا ان نقرر

هـــل يســتهدف الحـــوار :ادخـــال تعـديلات روحانيـة علـى مـدينتنا المعاصـرة في اوروبـا و المسـاهمة في سبل اصلاحها و تطوير ايجابياتها

صحيح: ان التعايش في ظل التسامح (غرض مهم) ولكن من الضروري اعادة الاعتبار للايمان

اذن سيتقرر ان التعايش جدوى في تصحيح المسار الحضاري للانسانية المعاصرة وسيسهم في حل اشكاليات الوجود

حينما يكون الهدف تصحيح مسار الحضـارة المادية سـيكون(الحـوار



العقائدي لايوفر فرصة) للتصحيح لانه سيدخل في مناظرة بين متراكمين على الاف السنين

اعادة الاعتبار للقيم

يعتقد الشيخ شمس الدين ان القيم قوة فعالة لحياة انسانية ممتازة, وان الحضارات الانسانية لا بد ان ترتكز على قيم الضمير الذي يخفف من قسوة التطور التقني . و الأحتمالات في حوار(اللاهوت-علم الكلام الاسلامي؟)

أ- هل يغير علم الكلام الاسلامي المسيحية من الداخل لتتحد مع الاسلام و الجواب ان هذا الاحتمال غير وارد

ب-هل يغير كلا الدينين بعض مفاهيمها ليتوحد الدينان في دين واحد وهذا الاحتمال ايضاًليس احتمالاً قوياً وتقف في وجهه عقبات كبيرة تحبط الحوار.

و اذا عرفنا ان الاسلام/و المسيحية عالمان ثقافيان وكلاهما لديهما معاً رؤيــــة في (صـــــيغة الحيـــــاة) (عقيدة,قوانين,قيم اخلاقية)

فأننا نتطلع الى – ما هو ايجابي في رؤيتهما معا

فالعقائد:ليست مجالا للاجتهاد لانها من (الثوابت) وأساسيات الشريعة ايضاً من الثوابت فكلاهما ليسا موضـــوعاً للاجتهـــاد و الحـــوار والتعديل و الاندماج

فلم يبق الا موضوع الاجتهاد في المتغيرات القابلة للتغير استجابة لضرورات الزمان والمكان(يتم وفق آليات اسلامية)

إذن ما الصيغة المطلوبة للحوار؟

يعتقـــد الشـــيخ ان المـــراد مـــن الحواراكتشاف المساحات المشتركة في رؤية المسيحية وفي الرؤية الاسلامية فيما يخص (الانسان,المجتمع,الحضارة)

فاذا تم الاكتشاف – يتحقق فتح روحي للحضارة المعاصرة

ويكون لكل دين مجالان لبناء الانسان المتكامل و المجتمعات الرسيدة و الدول العادلة

أ- مجال خاص لاتباعه في بناء انسان افضل (المسيحي الافضل, المسلم الافضل)

ب-مجـال تقـديم رسـالة حضـارية يقدمها ذلك الدين للعالم اجمع تتضمن رؤيته في عالم افضل.

اما المساحات المشتركة الموجودة بين المسيحية والاسلام

فهـــي الايمـــان بـــالله/اليـــوم الاخر/الانبياء اصحاب الرسالات وان للانســـان بعـــداً روحيـــاً/وان العبادة/حاجة انسانية/وان كرامة الانسان شرط لوجوده /ولابد من الاعـــتراف بـــالاخلاق الفطريـــة /الاسرة, وضرورة ان يكون اطار التقدم التقني اطاراً انسانياً.

مراحل ا وار:

يعتقد الشيخ ان مراحل الحوار تبداً: من الاجابة على سؤال مهم كم ستتدخل الرؤيتان في صيانة قيم المشتركات سواء اكانت جزءاً من

أ- الاصول

ب- او من شرح التفاصيل

ت-توجيـــه المشـــتركات للوضـــع الانساني المعاصر:بعد اكتشاف المشتركات لابد من توجيهها نحو ترميم الوضع الانساني فلكل دين اصوله الاعتقادية والقيمية , ولكي لاتقع في الخطأ لابد من الوقوف على تفاصيل تلك الاصول وضبط المشتركات ثم توجيهها لوضع الانساني الحالي .

ان ابرز جدوى للحوار:اكتشاف مشروع صيغة جديدة للحضارة من خلال (مناقشة المشكلات الانسانية المعاصرة على ان ينتج عنه اساس هذه المشتركات)[٢٥]

هـل لاحـظ كـل ديـن مسـألة التعـايش مـع الاخـر ,نظـر لهـا تنظيراً عقائدياً وقانونياً

- اننـا نلحـظ ان الاطروحـة العلمانيـة: اقامـت فكـرة التعـايش بـين المسـيحية و الاسلام ,والاسلام والمسيحية

اولى مـن العلمانيـة في اقامـة صرح التعايش

١- في عالمنا الاسلامي لابد من الاقتناع بأن المسيحية و المسـيحيون: حقيقـة قائمـة موجـودة معـترف بهـا اعترافـاً واقعيـاً ولامـانع مـن العـيش المشـترك معهـا علـى اسـاس نظريـة (المجتمـع السياسـي) الخاضـع لالتزامـات واحـدة (لاينهاكم الله عن الذين يقاتلوكم في الدين و لم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) (الاحزاب/٨)

وفي التاريخ الاسلامي – رغم كل تداعياته من : فـان ممـن الممكـن الاستشـهاد بمجتمـع اسـلامي فيـه مسـيحيون لهـم دور فاعـل في المعرفة والادارة.

فليس لدينا ما نخجل من الاستشهاد به كما حصل بمجتمع في اسبانيا مـن تحـريم وجـود الاديـان الاخـرى ولـنلحظ ان الاستعمار قد دخل مع التبشير بالمسيحية الى من العالم الاسلامي وادخل اليه (اسرائيل).

و اسـتناداً الى نظريـة الشـيخ شمـس الـدين لحـوار الاديـان نلحظ انه قد دعم هذه النظرية بأرائه لاتباعه و مقلديه فهو يرى :لامانع من تولي غير المسلم اية وظيفة في الدولة الحديثة دولة المؤسسات القائمة على التمثيل البرلمـاني والـتي تـدار مـن مؤسسـات ومجـالس الشـورى وتنظم عملها الدساتير.

قضية الخلاص: يعتقد الشيخ ان كـل ديـن يـرى انـه العقيـدة

الخلاصية الوحيدة والاخلاص خارجها.

يقضي الاسلام قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام فلن يقبل منه وهـــو في الاخــــرة مــــن الخاسرين)(٢٧) الخسران اخروي دون الدنيوي

بينما يشير الى الموقف الاخر المعبر عن قوله تعالى (لن ترضى عنك اليهود و النصارى حتى تتبع ملتهم) (٢٨)

الموقف الفاتيكاني الاخير توسيع نطاق الخلاصو هذا ينسجم مع الموقف الاسلامي

أ- لمن لم تبلغه الدعوة
ب- او بلغته ولم يعقلها
ت- بســــبب ضــــعف المبلغ/الاحوال والظروف
ث-لايحكم بالهلاك الابدي

ويثمن قرارات المجمع الفاتيكاني الذي اقر بالقيمة الخلاصية للاسلام نتيجة دراسة لاهوتية صدرت عن المجمع المسكوني الثاني.

ويرى ان الخلاص في الاسلام

خلاص من لم تبلغهم الدعوة او بلغتهم ولم يعقلوها (ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله و اليوم الاخرو عمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢٩)البقرة ٦٢

و في المائدة /٦٩ قدم الصابئون على النصارى (ان الذين امنوا و الذين هادوا والصابئون و النصارى من أمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣٠)

ص١٤٨ قرار المجمع المسكوني : تنظر باحترام المسلمين ... الخ

ا ا ة
١- الا يمنع الحوار الحروب الأممية باسم الدين, فالفكر الانساني المعاصر

ضـد التوظيـف السياسـي وضـد استغلال الاديان, و وتعتقد مدرسة النجف الاشرف ان الجهاد هو الدفاع عن النفس لا غير, و ليس الحشد لتدعيم تجرب سياسية .

٢- الا نُكره احدُ ابتداءً على اعتناق أي دين (لمبدأ لا اكراه) ولا يكرهونا على التخلي عن تراثنا ومعتقداتنا بكل الوسائل حتى الإعلامية منها

٣- ان تمنح الأقليات الإسلامية في أوروبا حريتها الكاملة لممارسة عقائدها و طقوسها وحريتها في الدعوة لأفكارها و هذه الدعوة ترتكز على (فلسفة مواطنة) و التي هي ناتج عن علمانية الغرب التي قدمت المواطنة كرسالة حضارية عالمية لها و انها في التصور الاسلامي ناتج عن مبدأ لا إكراه في الدين الإسلامي و مبدا المساواة و التكريم القرآني للانسان . كرسالة حضارية من المسلمين للامم كافة.

٤- نعتقد ان على المسلم الإقرار بالأديان السماوية جميعاً وهذا أمتياز للمسلم في حوار جدي للاديان يلزم ان يقابل بمثله في الاديان الاخرى.

٥- ترى ان حوار الاديان ربما يسهم في تقوية صلة الإنسان عموماً بالله و تقليل الشرور الانساني و الوقوف ضد الإلحاد والإباحية و اعلاء القيم التي تصنع الانسان الفاضل و المجتمع الرشيد وهذا الهدف سامي ومقدس وانساني يجب ان تسعى له كل القوى النبيلة.

٦- يسهم الحوار في ايضاح تحريم الإرهاب و استخدام القوة بكل إشكالها كوسيلة للتبشير و نشر الدين.

٧- مراعاة اختيار الأغلبية في أي بلد للفكر الديني فإذا اختار المسلمون الإسلام فعلى غيرهم الالتزام بخيارهم وكذا العكس على الأقليات المسلمة في اروربا مراعاة اختيار الأغلبية في بلدانهم.

٨- يشجع التضامن بين إتباع الأديان الثلاثة جميعا لنصرة المستضعفين و المضطهدين و الفقراء و المرضى ويوحدهم في مواجهة الازمات و

المجاعات والكوارث في فعل انساني كبير.

٩- يعمق الحوار أواصر الصداقة و تبادل الزيارات و حضور الطقوس الدينية لجميع الأديان, وان كان في هذا خلاف بين المذاهب

١٠- يسهم الحوار مراجعة الموروث التاريخي السلبي وطي ذلك الموروث الذي يعكر صفو المحبة بين البشر وفتح صفحة تعامل جديدة على أسس ايجابية

هوامش البحث

١. عبد علي الخفاف
١. ظ تقرير الحريات الدينية
٢. د. عبد علي الخفاف :الحريات الدينية ٢٠٠٨
٣. التاويل المسيحية لهوتة السياسة
٤. ويقدر عدد اتباع الهندوسية ب (٩٠٠) مليون ,و البوذية (٣٧٦) مليونو السيخ (٢٣) مليون
٥. ظ انجيل متي ١٦:١٩/ انجيل يوحنا ١٦:١٣
٦. انجيل متي ١٦:١٩
٧. انجيل متي ١٦:١٩
٨. ظ اراء برنارد لويس في الاسلام والحداثة
٩. صموئيل هنتنغتون:صدام الحضارات ص١٢١
١٠. فرانسيس فوكوياما:نهاية التاريخ الانسان الاخير
١١. محمد خاتمي:عالم الغد وحوار الحضارات ص٧١-٧٢/ظ له ايضاً:المشهد الثقافي في ايران مخاوف وآمال ص١٥٤
١٢. رضوان السيد :مداخلته في مؤتمر جامعة اللويزة
١٣. مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني ١٩٦٥
١٤. ظ هاشم آقاجري (حوار الحضارات من وجهة نظر المفكرين الايرانيين)
١٥. دعوة جمال الدين الافغاني واخرون مطلع القرن العشرين ص١٣
١٦. حميد مولانا:نظرية حوار الحضارات مجلة كفتمان العدد٦ ص١٩٧

١٧. منظمـة التربيـة و الثقافـة والعلـوم (Unico)
١٨. محمـد مهـدي شمـس الـدين :لبنـان الكيان والمعنى ص٣٢
١٩. سورة هود /الاية ١١٨
٢٠. سورة العنكبوت /الاية ٤٦
٢١. سورة الاحزاب/الاية ٨
٢٢. سورة آل عمران /الاية ٦٤
٢٣. الاسراء /الاية ٧٠
٢٤. سورة الشورى /الاية ١٣
٢٥. ظ الشيخ شمس الدين:لبنان الكيان والمعنى ص٣٢
٢٦. شمس الدين الحكم والادارة
٢٧. سورة فاطر /الاية ٨٥
٢٨. سورة فاطر/ الاية ١٢٠
٢٩. سورة البقرة /الاية ٦٢
٣٠. سورة المائدة /الاية ٦٩